الْقَطَرَاتُ وَالذَّرَّات

القَطَرَاتُ وَالذَرَّات

قدس سره
الإمام الراحل السيد محمد الحسيني الشيرازي

نشر وتوزيع: هيئة اليد العليا

تعريف الكتاب

* الكتاب: القطرات والذّرات
* المؤلف: الامام الراحل السيد محمد الحسيني الشيرازي قُدِّسَ سِرُّهُ
* الناشر: هيئة اليد العليا
* تصميم وتنسيق: دار الخدمات ومؤسسة هجر الإعلامية
* لبنان، بيروت، حارة حريك، بئر العبد، خلف البنك الفرنسي
* للتواصل: upperhandorg@gmail.com
* الطبعة: الأولى، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م

تمهيد

بسم الله تعالى

الذرّات: هي أصغر وحدة عضوية في المواد الصلبة وربما غير الصلبة إذا ذُهب إلى معناها الفيزيائي وهنا تعني الوحدات الصغيرة بل الغاية في الصِّغر..

والقطرات: هي أصغر وحدات مائية أو سائلة إن أريد بها الأوسع والأشمل..

فمن الذرات التي لا قيمة لها وحبَّات الرمال التافهة والمتجمعة في مكان ما تعطي صحاري وقفار وبيدٍ شاسعة يضيع الإنسان إذا دخل فيها بغير دليل ولا يستطيع العيش فيها حتي الحيوان إلاّ بعض الزواحف المتخصَّصة لمثل تلك المناطق.. وكذلك القطرات المتجمعة تعطي البحار

المترامية الأطراف والمحيطات التي لا يعلم حجمها وما فيها من مواد وحيوانات إلاّ خالقها جلَّت قدرته..

فسنَّة الكون تقتضي أن يتعلم الإنسان من هذا الكون بالتفكر والتدبر والاعتبار، وربنا سبحانه يقول: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[1].

ويقول الباري تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾[2].

(١) آل عمران: ١٩٢
(٢) آل عمران: ١٩١

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

(القطرات والذرّات) اسم هذا الكتاب الذي بين يديك، كتبته للإلماع إلى أن الأمور الكبيرة إنما تتكون من الصَّغائر.. كالبحر المتكوّن من قطرات الماء، أو الصحراء المتكونة من الذرات وحبّات الرمال، وهكذا في الأعداد فيتكون العدد الكبير إلى ما لا يحصى وإن كان ذلك غير معقول في الممكن من الوحدات الصغيرة..

قال سبحانه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[1] أما إذا فرضنا أنه لم

(١) الزلزلة: ٧-٨

يكن خيراً أو شراً، فهو من السالبة بانتفاء الموضوع بالنسبة إلى الأثر.

وفي القصة المشهورة: أن رجلاً أسلم في زمانه، فأمر النبي بأن يعلّمه أحد المسلمين القرآن، فأخذ يعلّمه سورة الزلزال حتى وصل إلى هذه الآية المذكورة آنفاً، فقام المسلم الجديد قاصداً الانصراف، فقال له المعلّم: إلي أين؟ فإني لم أعلّمك بعد إلاّ سورة صغيرة من القرآن الحكيم!

قال: أخذت مقصودي من هذه الآية المباركة، وهل بعد ذلك من حاجة؟

والمراد بـ**(مثقال ذرة)**: ما يراها الإنسان في نور الشمس التي تدخل من الكوَّة في غرفة مظلمة، وهل هناك شيء محسوس بالحواس المجردة أصغر وأخف منها؟

وفي هذا تعليم دقيق لمن يريد التقدم أو يخاف التأخر، بأن يراكم الذرات والقطرات حتى يصل إلى الهدف، أو يتجنبها حتى لا يجتمع لديه ما يوجب له السقوط.

إن المسلمين حين تقدموا عملوا بمثل هذا العمل حسب تعليم القرآن الحكيم حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه من الرُّقي والتقدم..، ثم تركوا حتى الذرات والقطرات

وتركوا.. وتركوا.. حتي انقلبت حالتهم إلى ما نشاهده اليوم من التأخر الذي ليس بعده شيء مع ملاحظة ما لهم من إمكانيات وطاقات هائلة!

فإذا أرادوا الرجوع إلى ما كانوا عليه بل أكمل وأوسع.. عليهم أن يعملوا كما عمل آباؤهم ولا يتركوا العمل في أيّ بعد من الحياة حتى إذا كان بقدر الذرة والقطرة، حتي ترجع حالتهم إلى ما كانت عليه.

والله المستعان ولا يأس من روح الله، قال ﷻ: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1].

قم المقدسة

٢٣/ شهر رمضان المبارك/ ١٤١٩ هـ

محمد الشيرازي

(١) يوسف: ٨٨

المُدّ والصَّاع

قال رسول الله ﷺ: «**الوضوء بمد والغسل بصاع، وسيأتي أناس يستقلون ذلك فأولئكم ليسوا علي سنتي، والثابت معي علي سنتي في حظيرة القدس**»[1].

والشارع المقدّس قد لاحظ قانون **(القطرات والذرات)** سلباً وإيجاباً حتى في عدم الكثرة وترك الإسراف في استعمال الماء حتي للوضوء والغسل! وقد أفتى بعض الفقهاء بحرمة ترك الأنبوب مفتوحاً إلى أن يتم الإنسان الوضوء لأن ذلك إسراف محرم.

إن الماء وإن كان دورياً من البحر ثم السحاب والمطر.. لكن يلزم التقليل من مصرفه وعدم الإسراف في ذلك، لأن الإتيان به من النهر أو الغدير أو ما أشبه إلي الدار ونحوها

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج١، ص٤٨٣

تكليف.. يلزم ملاحظته خاصة في الوقت الحاضر حيث يصرف عليه ما يصفيه، بالإضافة إلى تخزينه أو رفعه إلي **(الخزانات)**، ومن ثم جريانه في شبكة الأنابيب حتي يسهل استعماله للمستهلك بعد كل تلك المقدمات المكلفة.. ومع كل ذلك قد نري قلَّة الموارد المائية أو عدم صلاحيتها للشرب أو ما أشبه، ولذا نشاهد تحريض بعض البلاد إلى قلة استعماله، فإن أزمة المياه أصبحت أزمة عالمية..

وقد ورد في الأحاديث: «**قلة الماء قبل ظهور الإمام المهدي**».

ونقل: إن الخبراء اعترضوا على بعض الدول الإسلامية في استعمالهم الكثير للماء، حتى أن المياه الجوفية التي اختزنت لمدة سبعة آلاف سنة استعملت في أغراض غير ضرورية في الآونة الأخيرة..

هذا إذا كان حال الماء شرعاً وعقلاً.. وهو من المعادن والموارد الدورية الكثيرة الانتشار والسَّهلة التناول، فكيف حال غيره من المعادن غير الدورية كالنفط والغاز و.. و..؟ وقد نري كيف تنهب في زماننا!

ولذا نجد تسرب القلة إليها في عزّها، فكيف الحال بعد مرور نصف قرن أو أكثر؟

إن البشر المعاصر ليس له إلاّ أن يصرف بقدره حسب قانون **(الكم)** الوارد في القرآن الكريم، بحيث لا يضر الأجيال القادمة، وذلك بعد ملاحظة النسبة الدقيقة، وإلا كان ذلك إسرافاً.. وإضاعة للمال.. وتعدياً على حقوق الآخرين.. وصرف ما يرتبط بالأجيال الآتية.

وهكذا يلاحظ الشرع والعقل جميع المواد بميزان دقيق لا إفراط فيه ولا تفريط.

وكان ما ذكرناه من مصاديق قاعدة **(الذرات والقطرات)**.

٥• ملاحظة القلة

ورد في الأحاديث: **(لطع القصعة)** و**(لحس الأصابع)** وربما لا يفهم الكثير كنه معني ذلك، فإنه أيضاً من مصاديق قانون **(الذرات والقطرات)**، لأن ما بقي فيهما من الذرات التي تتجمع، إما يستفاد منها أو لا، بل سرفها وتلفها، وهكذا ما يتبقي في المائدة من بقايا الطعام.

وقد ورد عن رسول الله ﷺ: «**من أكل من سقط المائدة عاش في سعة، وعوفي ولده وولد ولده من الحمق**»[1].. ولا يخفي الدقة في التعبير حيث أشار ﷺ إلى الأجيال القادمة، فقال: **(ولده وولد ولده)**.

(١) ذكر السيد المجدد قدس سره: «**وعوفي ولده وولده من الحمق**». الموجود في المصادر «**وعوفي ولده وولده من الحرام**» ولعله في مصدر لم نعثر عليه. راجع: بحار الأنوار، المجلسي، ج٥٩، ص٢٩٢

وكما ورد في الحديث: «**من لقط شيئاً من الطعام فأكله حرّم الله جسده علي النار**»[1] ولاشك أن هذه البقايا لو اجتمعت في مدينة ذات مائة ألف أو أكثر إلي المليون، تكوِّن الأطنان! ومن هنا ورد أن صبّ الماء الزائد من الإناء وإلقاء النواة من الإسراف.

وكذا ورد في دفن قلامة الظفر والمشيمة، لأن بقاءهما من الأوساخ.

وكذلك ورد عدم تبييت القمامة في الدار، لأنها محل تجمع الحشرات الضارة من ناحية.. ويوجب تلوّث الهواء بالرائحة الضارة، وما أشبه من ناحية أخري..

ولا يخفى إن الأشياء الصغيرة إنما يلاحظ مجموعها، ففي مدينة نفوسها مائة ألف مثلاً، إذا لم تدفن الأظفار والشعور، كم كانت كثيرة مما توجب الوساخة، وهكذا في كثير مما يرى صغيراً لملاحظة نفسه بينما يكبر كثيراً إذا لوحظ المجموع.

إلي غير ذلك من الآداب الإسلامية التي هي من مصاديق قانون **(الذرات والقطرات)** مما هو كثير.

---

(١) ربيع الأبرار، الزمخشري، ج١، ص٢٥١

وإذا رأينا غالبية المسلمين لا يعتنون بمثل هذه الأمور، فلازمه -حسب قانون الأسباب والمسببات، والآثار الوضعية إضافة إلي التكليفية- أن نرى الفقر المدقع في جملة من بلاد الإسلام، وهكذا فقر أفراد كثيرين وشعوب كبيرة في غالب البلاد.

إن رسول الله ﷺ ما كان يأكل لونين من الطعام على مائدة واحدة ولو لبناً وعسلاً.

وأمير المؤمنين علي قال لابنته: «**ارفعي أحد الطعامين اللبن أو الملح، لأن أحدهما يكفي إداماً للخبز**»[1].

مع العلم أنهما لو أرادا أن يعيشا عيشاً متوسطاً لم يكن يظهر أثره على بيت المال، بالإضافة إلى أنهما **(صلوات الله عليهما)** كان لهما الموارد الخاصة من الزَّرع وما أشبه.

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج٤٢، ص٢٧٦
يا بنية والله لا آكل شيئا حتى ترفعين أحد الإدامين، فلما رفعته تقدم إلى الطعام فأكل قرصا واحدا بالملح الجريش.

قال الإمام علي: «**ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدي به ويستضيء بنور علمه، ألا وإن إمامكم قد اكتفي من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه**»[1].

إن الحياة دقيقة.. دقيقة.. فهي لبنة لبنة، وذرة ذرة، وقطرة قطرة، فالعمل فيها اعتباطاً ولو بمثل هذا القدر القليل ينتج النتائج السيئة.

فإن قوله سبحانه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[2] يشمل كل ما هو شبهه ولو بالملاك.

والعمل ذرةً ذرة وقطرة قطرة سلباً أو إيجاباً يؤثر في النتيجة كذلك، كما هو ثابت في الحكمة.

أمّا ما يقوله البعض من أن اللازم أن يعمل الإنسان إما عملاً كبيراً أو يترك كما أصبحت عادة كثير من الناس وحتى بعض العاملين فهو غير صحيح، فإنهم بقولهم: **(أو يترك)** أخّروا المسلمين كافة، لأن الحياة ذرات وقطرات.

---

(١) نهج البلاغة، الكتاب ٤٥
ألا وإن لكل مأموم إماما يقتدى به ويستضئ بنور علمه، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه.
(٢) الزلزلة: ٦-٧

قبل اغتصاب فلسطين

هناك الكثير من أعداء المسلمين أخذوا بقانون **(الذرات والقطرات)** فتقدموا علينا، فعلي سبيل المثال: كانت في كربلاء المقدسة محلّة يسكنها بعض اليهود، وحمام لليهود، وقد شجّع البريطانيون فتح سوق للدعارة في تلك المحلة ولا زالت بعض آثارها باقية إلي الآن وقبل نصف قرن مع ذهاب اليهود إلى فلسطين أغلق الجميع.

وإني أذكر أنه كان يأتي في كل أسبوع رجل من اليهود إلي أزقة كربلاء ومنها زقاقنا **(زقاق المائية)** وكان يصيح: أشتري الأشياء العتيقة **(الخلقة)**، فكان يشتري من كل بيت بيت.. علي اصطلاحه: **(أبطال مكسّرة، لحفان مشگشگة، حصران عتيقة)** وما إلى ذلك.. مما يلزم إلقاؤها في النفايات، وكان يشتريها بأسعار رخيصة جداً.

فكانت النساء في البيوت يحضرن كل تلك الأشياء العطبة والخلقة، ليوم إتيان ذلك اليهودي فيبعنها له بأسعار زهيدة.

وربما كان يتساءل البعض: ما فائدة هذه الأشياء التافهة لذلك اليهودي؟

والجواب: أنه كان في محلة اليهود إدارة لتحويلها إلي أشياء حسنة أو إلي ما يدرّ عليهم الأموال، فمثلاً **(الحصران المشگشگه)** كانوا يبيعونها للحمامات وقوداً لها، و**(الأبطال المكسرة)** يرسلونها إلى بغداد لصبها من جديد، و**(اللحفان)** بعد الغسل والتنظيف يجعلون لها أغطية جديدة، وما إلي ذلك..

وكان يهودي آخر يأتي إلي الأزقة بين مدة وأخرى، لدق الجدري وكان يدقه بالعظم وبوسائل بدائية لكنها نظيفة وأدوية معقمة، ويأخذ شيئاً قليلاً مما يجعل الناس يقبلون عليه.

إن جمعهم للمال بهذه الوسائل المشروعة وغير المشروعة كـ**(سوق الدعارة)** وحتى بأسلوب **(الذرات والقطرات)** جعل منهم أثرياء في البلد.

وهكذا كانوا يعملون في أيّ بلد يتواجدون فيه ويجمعون ذرة ذرة وقطرة قطرة، فلم يكن عندهم حتي فقير واحد، بل كان يعين بعضهم بعضاً حتي لا يظهرون بمظهر سيّء أمام المجتمع إطلاقاً، وهكذا عملوا في كل العالم وفي مختلف المجالات إلى أن غصبوا فلسطين.

المتسامح في الأسعار

كان نفران في بغداد يعملان في طرفي الجسر، وكان كل واحد منهما يبيع البيض، ولكن أحدهما كان مزدحماً بالمشترين دون الآخر.

يقول الراوي: وبعد مدة غير قصيرة مررت علي الجسر وإذا أرى أحد البائعين دون الآخر، فسألت عن الآخر؟

فقالوا: ترك هذا العمل وذهب إلي السوق وأصبح تاجراً كبيراً، فتعجبت من ذلك وذهبت إليه لأسأل عن السبب؟

فقال التاجر الجديد: أنا كنت أفهم موازين العمل وصديقي لم يكن يفهم، ولذا لا زال باقياً علي عمله ومستواه السابق.

قلت: وكيف؟

قال: كنت أشتري كل يوم عشرين صندوقاً من البيض مثلاً ومن اليوم الأول قررت أن لا أربح في البيض ولا لشروي نقير، وإنما أبيع بالثمن الذي أشتريه لا أزيد، وإنما كان ربحي من بيع الصندوق نفسه فكنت أشتري كل بيضين بفلس وأبيعهما بفلس أيضاً، ثم أبيع الصناديق الفارغة بأربعة فلوس، بينما كان صديقي يشتري كل بيضين بفلس ويبيع ستة بيوض بأربعة فلوس؛ فيربح البيضين والصندوق، وحيث عرف الناس إني أبيع بالأرخص اجتمعوا حولي تدريجاً، بينما خفّ الازدحام حول صديقي..، وبعد عشر سنوات جمعت مالاً كثيراً وتمكنت بسببه من فتح هذا الدكان، وأخذت أتجر شيئاً فشيئاً حتي أصبحت هكذا.. بينما صديقي بقي في محلّه يبيع البيض.

وهكذا حال كل بائع أرخص من حيث التقدم والرقي.

وهذه القصة من مصاديق قانون **(الذرات والقطرات)**.

الإتقان حتى في الذرات

إني أذكر قبل الحرب العالمية كانت البضائع اليابانية معروفة بعدم الإتقان ولذا لم يكن يرغب الناس فيها.

أما بعد أن جعلوا في بلادهم التعددية الحزبية، وانتهجوا منهج الإتقان في ذرة ذرة وقطرة قطرة من أمورهم حتي وصلوا اليوم إلي ما وصلوا إليه من الجودة في مختلف بضائعهم وأصبح الإقبال عليها والمشترون لها أكثر، وأحياناً حتي مما يصنعه الغرب.

وهكذا كله بسبب الإتقان في الأمور من الذرات والقطرات إلي غير ذلك.

هكذا عملوا

قال لي أحد علماء إيران: ذات يوم كنت أمرّ علي بحر بوشهر، فرأيت امرأة تفحص في محل جزر الماء، حتي جمعت كدساً من الخرق وأخذتها وذهبت، وفي يوم آخر كنت أتمشى في نفس المكان وكان البحر جزراً أيضاً، فرأيت نفس المرأة تجمع كدساً من الخرق.. فلما أرادت الإنصراف قلت لها: من أنت؟ ولماذا هذا العمل؟

قالت: إني امرأة يهودية ولا كفيل لي، فآتي أيام الجزر إلى هذا الموضع من البحر أبحث لأجد الخرق التي يأتي بها المد وأجمعها ثم أذهب فأغسلها وأنظفها ثم أبيعها إلي الكراجات لتنظيف السيارات وما أشبه وأجد بقيمتها لقمة العيش.

وفي بعض البلاد تبني علي البحر الأحواض الكبيرة، ثم يلقي فيها ماء البحر ليجف بحرارة الشمس، ويبقي ملحها في قاع الحوض فيبيعونها ويكتسبون بذلك.

وفي الهند في منطقة كبيرة فقيرة جداً، أخذت الحكومة تزرع أشجار التوت ثم زودت الأهالي بديدان القز.. حيث أخذت تأكل من الأوراق.. وذلك ليحصل الأهالي علي الحرير ويبيعونه ويكتسبون بذلك، فخرجوا من ذلك الفقر المدقع.

وكان رسول الله ﷺ يأكل التمر ويجمع نواته في كفه اليسري.. فمرت عنزة فأشار ﷺ إليها بالتقدم.. وأخذت تأكل النويات من كفه الكريمة.

إن هذه القصص وأمثالها مما تؤيد قاعدة الذرات والقطرات، وتدل علي أنه يلزم علي الإنسان في الاكتساب أن يحصل الرزق حتي من القطرات.

وهذا دليل لما نحن بصدده من لزوم تجميع القطرات والذرات للوصول إلي الأهداف حتي إذا كان الهدف كبيراً، وهكذا سنّ الله الحياة وهو المستعان.

الحطب وقانون الذرات

كان رسول الله ﷺ ومعه أصحابه في صحراء خالية من الشجر ونحوها..، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**اجمعوا الحطب**»[1].

فقالوا: يا رسول الله هذه الصحراء مقفرة لا حطب فيها.

قال لهم رسول الله ﷺ: «**افحصوا واجمعوا**».

فأخذ رسول الله ﷺ وأصحابه في البحث والجمع، وبعد قليل جمعوا كدساً كبيراً من الحطب.

فقال لهم رسول الله ﷺ: «**هكذا تجتمع الذنوب!**»

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج١٥، ص٣١١
ان رسول الله ﷺ نزل بأرض قرعاء فقال لأصحابه : ايتوا بحطب فقالوا : يا رسول الله نحن بأرض قرعاء ما بها من حطب، فقال ﷺ : فليأت كل إنسان بما قدر عليه فجاؤوا به حتى رموا بين يديه بعضه على بعض، فقال رسول الله ﷺ : هكذا تجتمع الذنوب

نعم أراد الرسول الأعظم ﷺ بهذه القصة أن يمثل، كما أن الحطب المتناثرة تنتهي إلي كدس كبير إذا جمعت، كذلك سائر الأشياء من الذنوب وغيرها..

وهكذا تكون الحسنات، وسائر شؤون الحياة، وحتي أسباب الحب أو البغض أو المال أو العلم أو غيرها.

وقصة السكاكي وتحصيله العلم مشهورة.

فاللازم على الإنسان أن يهتم بالصغائر من الأمور أيضاً مهما كانت صغيرة حتى تنتهي إلي الكدس، خيراً أو شراً، تقدماً أو تأخراً، إيجاباً أو سلباً.. فلا يقول: هذا قليل أو صغير وأيّ نفع فيه أو أيّ ضرر منه..؟

وقد قالوا في الشعر الفارسي ما مضمونه:

تجتمع قطرة قطرة
وإذا بها تصبح بحراً
تجتمع ذرة ذرة
وإذا بها تصبح براً

ونحن المسلمين إنما تأخرنا لذلك ولأسباب أخرى مذكورة في محلها، فعدم الاعتناء بالأمة الواحدة، وعدم الاعتناء بالأخوّة الإسلامية، وعدم الاعتناء بهذه الحرية..

وهذه الحرية.. وهذه الحرية..، وعدم تزويج هذه الفتاة.. وهذه.. وهذه..، وعدم تزويج هذا الفتى.. وهذا الفتى.. وهذا الفتى..، وهكذا.. وهكذا..

وقد قرأت في تقرير أن في مصر خمسة عشر مليون أعزب فتىً وفتاة، والله يعلم كم يستشري الفساد فيهم! والله يعلم كم يصابون بمختلف الأمراض!

بناء منارة السيد محمد

كان الابن الأكبر للسيد القمي قدس سره وهو السيد محمد القمي رحمه الله قد اهتم لتعمير مرقد السيد محمد ابن الإمام الهادي، قرب سامراء، قبل خمسين سنة، فكان في كل أسبوع يأتي يوماً واحداً إلى بغداد ليجمع المال للبناء ويرجع إلى البقعة المباركة مشغولاً ببنائها، وبذلك وسّع الصحن الشريف أضعاف ما كان، وإني قد رأيتها قبل التعمير والتوسعة وبعدها، كما نصب ماكنة الماء وجعل شبكة الأنابيب للصحن الشريف، واشتري موِّلد الكهرباء مما سبب إنارة البقعة، ونصب ماكنة الطحن لتطحن حبوبات الأعراب في تلك النواحي وليحصل من ثمنها ما يلزم لإدارة الماكنتين السابقتين، وبني حماماً للرجال والنساء إلي غير ذلك..

والشاهد في الكلام: أنه ﷺ عملاً بقاعدة الذرات والقطرات بني منارة جميلة للبقعة المطهرة وقد ارتقيت إلى سطحها، ولكن في ذلك اليوم لم تكن كاملة ثم كملت فيما بعد، ولها جمال ظاهري وجمال داخلي حيث بنيت بدرجين مدورين وهي أفضل بناءً من المنارات في كربلاء المقدسة حيث صعدت أنا فوقها أيضاً وقت المناجاة في شهر رمضان المبارك.

وقد قال لي السيد ﷺ: إني رأيت حداداً في بغداد وكان كل رأس ماله ثمانية دنانير، وقلت له: تبرع للمنارة، قال: إني أعطيك كل أسبوع ما أحصله من دكاني بعد إخراج مصارفي، قال السيد: وكل أسبوع كنت أذهب إلي بغداد وآخذ منه الزائد مما حصله في الأسبوع.. وقد كلفتني المنارة إلى الآن أكثر من أربعمائة دينار، وكل هذا المبلغ من تبرع ذلك الحداد **(وفقه الله تعالى)**.

نعم: القطرات تتجمع، والذرات تتراكم، والقليلات تنتهي إلى الكثيرات بإذنه سبحانه.

الذرّات الضارّة

من الضروري في تطبيق القاعدة التي ذكرناها قاعدة الذرات والقطرات أن لا تتجمع الأمور الصغيرة الضارة حتي تصير كبيرة لا تتحمل سواء في التكوينيات أو التشريعيات كصلاة القضاء، وصيام القضاء، والديون، والأخماس، والزكوات وما شابه، وهكذا المشكلات الصغيرة فبجمعها تكون كبيرة، وربما تصل إلى ما لا يقدر الإنسان قدرة طبيعية على إنجازها أو التخلص منها.

كان أخوان متديّنان، أحدهما يخمّس كل سنة ما عليه ولم يكن إلاّ مقادير قليلة، والآخر لا يخمّس وكان بناؤه أن يخمّس.. وهكذا دارت الأيام والسنوات حتى ثقل عليه الخمس، وذات يوم وبعد أن عزم وجزم جاءني يريد تخميس أمواله، وكان الخمس كثيراً حيث اجتمعت لديه شياً فشيئاً

في أكثر من عشرين سنة مئات الملايين من التوامين! فوعد بتخميس أمواله ولكن الشيطان كان أقوي منه، حيث أنه لما عرف أن خمسه هذا المقدار، قال: سوف أعطيك أقساطاً، قلت: لا بأس..

ولكن اتفق أن تراءت له تجارة احتاجت إلى كل ذلك فصرفها فيها راجياً أن تربح فيأخذ لنفسه الربح ويعطي مقدار الخمس!

ولكن التجارة خسرت ولم يحصل حتى على رأس ماله.

وبعد مدة قليلة ضربه مرض كبير وأصيب بسببه بالشلل.

فذهب ماله وصحته ولم يؤد مما عليه حتي تومناً واحداً! قال: «**ولا تؤخر عمل اليوم لغد فإنك لا تدري ما اسمك غداً**»[1].

ولو بادر هذا الأخ كما كان يعمل أخوه في إعطائه خمس ماله كل سنة، لم يرزح تحت هذا الدين الإلهي الثقيل، ولعله أصيب بهذا المرض العضال من جرّاء تأخير حق الله سبحانه.

---

(١) إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح، وخذ من صحتك قبل سقمك، ومن حياتك قبل موتك، فإنك لا تدري ما اسمك غدا.
المصدر: الأمالي، الطوسي، ص٣٨١، مكارم الاخلاق الشيخ الطبرسي، ص٤٥٩.

تيس أخفش

كان هناك شخص بليد إلى أبعد حدّ فأراد أن يدرس ويكتسب العلم، فذهب إلى المدرسة ليدرس الفقه، لكنه لكثرة بلادته لم يحفظ ما كان يلقى عليه من المسائل الفقهية البسيطة حتي يئس منه الأستاذ والطلاب الآخرون فقرّروا طرده، وفي الامتحان الأخير علّمه الأستاذ مسألة: «**قال الشيخ: جلد الكلب يطهر بالدباغة**» وأمره أن يحفظها إلي الغد.

فجاء غداً وقد ادّعي حفظ المسألة، فقال له الأستاذ ما هي؟ قال: «**قال الكلب جلد الشيخ يطهر بالدباغة**» فطرد من الدرس فذهب حزيناً إلي الصحراء ليتنفّس من لوعته الشديدة وحزنه العميق، فمرّ علي بئر يستقي منها الرعاة،

وإذا به يرى أن حبل الامتحاء قد أثر في صخرة علي حافة البئر تأثيراً واضحاً، فأنشأ يقول:

أمـــا تـــرى الـحـبـل بـتـأثـيره

في الصخـــرة الصـــماء قـــد أثـــرا

وقال في نفسه: إن ذهني ليس أصعب من هذه الصخرة، فصار ذلك سبباً في رجوعه إلى المدينة وتوجهه إلى طلب العلم مرة ثانية ومزاولته المجدة في الدرس والحفظ، وهكذا فعل حتي صار من العلماء البارزين.

ويحكي عن الأخفش أنه لبلادته لم يقبل أحد الطلاب أن يتباحث معه، حتي أنه اشترى معزاً وكان يباحثه، وإذا قال مطلباً يراه صحيحاً، والتيس ساكت، كان يجرّ لحيته حتي ينكس رأسه دليلاً علي صحة مطلبه، ولذا اشتهر عند الطلاب **(عنز أخفش)** وأخيراً أصبح عالماً كبيراً.. اسمه مذكور في كثير من الكتب الأدبية.

وهكذا فإن التكرار زماناً، وجمع الذرات والقطرات عدداً، من أسباب الوصول إلي النتائج المطلوبة، فاللازم علي الإنسان أن يهتم بالقطرات فيجمعها ولو طال الزمان، كما قال الشاعر:

لابـد من صنعا وإن طـال السفر

فطولـــه يـــأتي بأفضـــل الأثـــر

٥٠ أبو الجعل

كان أحد العلماء يكنّي بـ(**أبي الجعل**) وهو قسم من الخنفساء وله اشتياق عجيب بالنور وعندما يطير يعطي صوتاً.

يقول العالم: كنت بليداً جداً، وذات ليلة كنت أطالع الكتاب عند فانوس كان موضوعاً علي محل مرتفع، ولكني لم أفهم المسألة علي رغم التعمق فيها حتي يئست، وفي هذه الأثناء جاء (**جعل**) يريد صعود ذلك المرتفع ليصل إلي الضياء، وكلما أراد الصعود انزلق فأخذ يكرر الصعود وأخذت أُحصي صعوده وانزلاقه وطال الأمر إلى قرب السحر، فكان عدد صعداته سبعمائة مرة! وينزلق في كل مرة، فتعبت ولم يتعب، فقمت لأتهيأ لصلاة الليل فذهبت أتوضأ ولما رجعت رأيت (**الجعل**) واصلاً إلي قرب الضياء جالساً

عنده، فقوّي ذلك عزمي علي الدراسة، وقلت في نفسي: وهل أنا أقل عزيمة من هذا الجعل؟ فأخذت أجدّ في طلب العلم حتي وصلت إلى ما أردت من درجات العلم..

ولذا لقب بـ**(أبي الجعل)**.

نعم إن جمع قطرات العلم وذرات الأوقات يأتي بالنتائج المطلوبة:

لا تـقـولـنّ مـضـت أيـامـه

إن مـن سـار عـلي الـدرب وصـل

أُطـلـب العلم بـجـدّ واجتهاد

فمـن ارتـاد عـلي العلـم حصـل

ولا يختص ما ذكرناه بتحصيل العلم بل هو جار في كل هدف يجدّ الإنسان في مقدماته.

فإنا نرى حتي الزارع أو الفلاح يعطي الماء لبستانه طيلة تسعة أشهر، كل يوم مرة مثلاً حتي يحصل علي الثمر، مع قطع النظر عن سائر الأسباب الكونية من الهواء وغيرها.

وهذه القاعدة كما تجري في التكوينيات نجدها في التشريع أيضاً، كما يشاهد في ما ورد من ترتب بعض الآثار علي عمل أربعين يوماً أو سنة أو ما أشبه، فلا

يقال إن كان العمل مؤثراً لم يحتج إلي أكثر من مرة وإلا لم يكن منتجاً، أما خصوصية أربعين يوماً أو عمل كذا عدداً فكنه الربط بينهما مخفي لنا، ولا يعلمه إلاّ علاّم الغيوب، فإن الارتباطات المعنوية كالارتباطات المادية لها تقديرات خاصة.

هيئة إطلاق السجناء

الهيئات من أفضل التشكيلات التي تتمكن من تقديم الحياة إلى الأمام في أبعاد كثيرة من أبعادها وهي من مصاديق الذرات والقطرات وكلما كثرت الهيئات المتنوعة تكون الحياة أكثر تقدماً.

إن حجراً كبيراً قد لا يتمكن زيد أو عمرو أو بكر من حمله، أما إذا صاروا جماعة تمكنوا منه، ولذا ورد عن رسول الله ﷺ: «**يد الله مع الجماعة**»[1].

وقد قرأت أن أحد البلاد الغربية مشتملة على **(٢٥٠)** ألف من الهيئات، بمختلف الأسماء من هيئة أو جماعة أو لجنة أو منظمة أو جمعية أو ما أشبه.

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٢٧

وقرأت أن بلداً آخر يحتوي على مليون وألف منظمة وهيئة..

وقرأت أن أهالي البلاد الفلاني لا يعرفون ما معني **(المشكلة)**!

فلا حاجات لهم لا تقبل الحل وذلك لكثرة الهيئات التي تعني بمختلف مشاكل الحياة.

لذا من الضروري الاهتمام بهذا الجانب الحيوي لأجل إنقاذ المسلمين وتقديمهم إلى الأمام.

كانت في إيران قبل أكثر من ثلاثين سنة هيئات كثيرة، وكانوا إذا جاؤوا إلى كربلاء المقدسة يلتقون بي عادة، وكنت أجد نشاطهم وأعمالهم وخدماتهم.

ومن جملتهم: كانت **(هيئة إنقاذ السجناء)** وكانوا جماعة من التجار يجمعون المال على طول السنة، ثم في أيام الأعياد كالفطر والأضحى والغدير وميلاد النبي ﷺ والمبعث وما أشبه يذهبون إلى سجن **(أوين)** أو غيره.. ويرون مدير السجن ويسألونه عن عدد السجناء الذين سجنوا لأجل المال ولعدم قدرتهم على أداء ديونهم، أو ما أشبه كفرض الحكومة عليهم شيئاً لا يقدرون على أدائه ولذا

سجنوا، فكانوا بعد أن يعرفوا كم عددهم؟ ومن هم؟ وكم مطلوبية كل واحد منهم؟ يقدمون المبلغ من صندوقهم ذلك ويخرجون السجين من السجن، وكانوا يصطحبون مائة أو أكثر من السجناء ليذهبوا بهم إلى أهاليهم.

نعم جمع الأفراد فرداً فرداً، وجمع الأموال فلساً فلساً كان سبباً لإنجاز هذه الخدمة الإنسانية وإطلاق سراح هؤلاء المسجونين ورجوعهم إلي أهاليهم بكل فرح وسرور،

وكان يحصل لهؤلاء العاملين السمعة الطيبة والأجر الجزيل والذكر الدائم، قال تعالى: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤﴾[1].

وهذا آخر ما أردنا إيراده في هذا الكتاب، نسأل الله سبحانه أن يوفقنا لمراضيه ويجنّبنا معاصيه، والله المستعان.

قم المقدسة

رمضان المبارك ١٤١٩ هـ

محمد الشيرازي

(١) الشعراء: ٨٥

المحتوى

تمهيد ٧

المقدمة.. ٩

المُدّ والصَّاع ١٢

ملاحظة القلة ١٥

قبل اغتصاب فلسطين.. ١٩

المتسامح في الأسعار.. ٢٢

الإتقان حتى في الذرات ٢٤

هكذا عملوا ٢٥

الحطب وقانون الذرات ٢٧

بناء منارة السيد محمد.. ٣٠

الذرّات الضارّة ٣٢
تيس أخفش ٣٤
أبو الجعل ٣٧
هيئة إطلاق السجناء ٤٠